

# البعْدُ الفلسفي في شعر القطامي<sup>(١)</sup>

د. نزيه كسيبي

**يشاء** بعض الكتاب قديماً وحديثاً في القدرة على المزج بين الوظيفة الأخلاقية والعملية الشعرية ، فالفلسفة والشعر - برأيهم - لا يلتقيان . ويزدري بعضهم كل شعر تعليمي أخلاقي ، ويلاحظون أن هذا النوع ليس له من النظم الشعري إلا الوزن . وقد نبه ت . س . اليوت الى هذا الازدراء في قوله : « يرتاب الناس من كل شعر يقترح غاية معينة : كالشعر الذي ينادي فيه صاحبه بالنظرات الاجتماعية والأخلاقية والسياسية والدينية » (٢) .

وقد استطاع الشعراء العرب الجاهليون والاسلاميون المزج بين العملية الشعرية والفلسفية من خلال ما يسمى بالأبيات السائرة والمأثورة أو ما يسمى بشعر الأمثال . مما لا شك فيه أن هذا الضرب من الشعر ليس نظرية وصفية منطقية معقدة لها فرضياتها ونتائجها : فلم يتناولوه شعراء العصرين الجاهلي والأموي تناولاً مفصلاً ، كما نجد ذلك في كتب الفلسفة الاغريقية والعربية . ولم يأخذ أبعاد شعر الفلاسفة العرب والمسلمين في أواخر العصور العباسية في بلاد الشام أمثال أبي العلاء المعري (٣) أو في بلاد الفرس أمثال الخيام .

فالفلسفة التي أخذت شكل المثل في الشعر الجاهلي والأموي كانت تكشفاً لتجاربههم الخاصة وذات بعد ديني ( الديانات السماوية الثلاث ) (٤) وأخلاقي أيضاً .

وإذا كان بعض الكتاب لا يجد في الأمثال العربية عمقاً ولا أهمية شعرية (٥) فتبقى - في رأينا - فناً شعرياً يعبر عن أفكار الشاعر في صدد حادثة طارئة خاصة أو عن تأمله الفلسفي في الحياة العامة . فالأمثال نشرها وشعرها تفسر لنا مشاغل الشعوب وحياتهم

الذهنية والمعاشية واليومية ، فهي بلا شك عصارة « حكمة الأمم » ، ويأخذ بعضها بعداً عالمياً لخطورتها وعظيم شأنها ، واصبح الغرب يهتم بها كثيراً وتعطى الشهادات العالية في سبيل دراستها دراسة وصفية ومقارنة . وقد فطن الكتاب العرب منذ القديم الى أهميتها فجمعوا كثيراً منها وأفردوها في مؤلفات كمجمع الأمثال للميداني وغيره ، حتى قالوا فيها « انه لم يسر شيء مسيرها ولا عمومها حتى قيل أسير من مثل » (٦) ، وبما أن الحكمة عنصر مهم في الشعر ، فقد صيغ المثل به « ليكون اشرد له وأخف للنطق به » (٧) .

وقد أضحى الشعر الحكمي عند الشعراء العرب ومن ضمنهم القطامي فناً للحياة ، وسيظل كما هو شأنه لدى شعراء الشعوب الأخرى مثلاً رائعاً للشعر التعليمي الأخلاقي دون أن تحط الغائية من قدره (٨) .

### □ توزيع الأبيات الحكمية وثقافة القطامي :

يصف يحيى بن علي التبريزي ( بكسر التاء ) ( ٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م ) الشاعر القطامي بأنه « كثير الأمثال » (٩) . وقد تبين لنا - بعد الرجوع الى ديوانه (١٠) - أنه لم يصلنا منها سوى خمسين بيتاً تقريباً ، متفرقة في قصائده ، بعضها في أوائلها وقسم آخر في وسطها أو أواخرها . فليس هناك قاعدة ثابتة في ظهور المثل في القصيدة ، وهكذا نجد في القصيدة ذاتها ، شأن القصيدة العربية في تلك الفترة ، النسيب والحكمة والهجاء والمديح ، والاشارات التاريخية والاجتماعية متمزجة . وتكمن فنية القطامي في قدرته على اعطاء الشعر وظيفة أخلاقية صيغت في قالب شعري جذاب مناسب للموضوع الذي يطرحه . لقد انطبعت الوظيفة الأخلاقية في شعره بثقافة دينية وتاريخية وبتجربته الخاصة .

أما التأثير الديني فقد كان واضحاً في شعره وفي شتى أغراضه ، فأفاد من الديانة النصرانية ( الكتاب المقدس - العهد القديم والجديد ) لأنه كان مسيحياً شأنه في ذلك شأن كثير من المتغلبين في العهد الأموي ، ومن الديانة الاسلامية لأنه دان بالدين الجديد فيما بعد (١١) . ففي الاطار الحكمي الديني يوثق القطامي ما يرمي اليه بأمثلة مستقاة من التوراة (١٢) ومن القرآن (١٣) كقصة الطوفان في عهد نوح ، ليذكر الناس بأن الموت يصيب كل انسان وفي كل زمان ومكان :

**وأنذركم مصائر قوم نوح وكانت أمة فيها انتشار (١٤)**

ويشير الى قصة غرق الفراعنة بعد مطاردة موسى ، في نصحه الناس بالتخلي عن النزاعات والاختلافات والفتن ، ويذكر بأقول الأمم الغابرة :

وشق البحر عن أصحاب موسى	وغرقت الفراعنة الكفار
فكم من مدة سبقت لقوم	زماناً ثم يلحقها ابتار
فيا قومي هلم الى جميع	وفيما قد مضى لكم اعتبار (١٥)

ويأتي الشاعر بهذه النصائح المستوحاة من الديانات السماوية دون أن يشير بالضبط إلى مصدره لأنها كانت معروفة لدى الجميع، ثم هل مهمة الشاعر الحديث بمصادره؟! فهو يتجاوز ذلك في حكمته ولا يتكلم على القصص القديمة ليدعو إلى دين أو ليرهب الناس من العذاب أو ليرغبهم في الجنة ، فليس ما يسرده من نصائح ذات الأبعاد الدينية ناجماً عن خوف وضعف أو رغبة وطمع بل يعدها طريق الحكمة ويعتمدها على أنها سبيل الخلاص ، إنها دعوة للحياة ويختارها الشاعر لقناعته بها :

### فهذا فيه موعظة وحكم ولكني امرؤ في افتخار (١٦)

وتستحوذ فكرة النفور من الحرب وتحقيق السلام ، فإذا به يستخدم جميع الوسائل لإيقاف الحروب القائمة قرب نهر الخابور بين بني تغلب وقيس ، فلم يعد المديح في سبيل الحصول على العطايا ولم يعد الغزل في وصف جمال المرأة بل أضحي الغزل « مسيئاً » أو سياسياً إن صح التعبير . ولم تعد الحكمة في القول بل أضحت عنده عملاً وسلوك حياة .

ففي مديحه همام بن مطرف التغلبي ، أحد أغربة العرب (١٧) في العصر الاسلامي ، يشير إلى صنيعة في اقامة الصلح بين بكر وتغلب :

### بنى بين حيي وأئل بصنيعة فلا تغلب لامت أخاها ولا بكر (١٨)

ومع أن القطامي شاعر ومعارب فإنه يهجو الأخطل لكونه السبب في اشعال الحرب بين قيس وتغلب يوم البشير أو ما يسمى بيوم الرحوب ( سنة ٧٣ هـ / ٦٩٢ م ) (١٩) .

وقبل أن يبدأ بمديح زفر بن الحارث (٢٠) يخاطب ابنة الممدوح ضباعة بنوع من الغزل السياسي ذي الأهداف السلمية وبطريقة الفيلسوف الحكيم الذي يطمح إلى اقامة السلم وطرح الحروب يقول :

قفي قبل التفرق يا ضباعا	ولا يك موقف منك الوداعا
قفي فادي أسيرك ان قومي	وقومك لا أرى لهم اجتماعا
ألم يعزنك أن حبال قيس	وتغلب قد تباينت انقطاعا
يطيعون الفؤاة وكان شراً	لمؤتمر الغواية (٢١) أن يطاعا
ألم يعزنك أن ابني نزار (٢٢)	أسالا من دمائهما التلاعا (٢٣)

ان مثل هذه الشواهد التي سردناها وسنورد بعضاً منها فيما بعد ، ليست الا غيضاً من فيض على ميل القطامي نحو السلم ونفوره من الحرب على نحو يجعلنا نقول : إذا كان زهير بن أبي سلمى شاعر السلم في العصر الجاهلي فالقطامي هو شاعر السلم أيضاً في العصر الأموي .

أما عن ثقافة القطامي التاريخية ، فيلاحظ أن الشاعر كان مؤرخاً للحروب في عهده وملماً بأخبار العرب في العصر الجاهلي ، وقد كان يفيد من هذه الثقافة ليؤيد فكرة ، ففي حثه العرب على الاتفاق والاتحاد ، يلمح إلى ما جرى مع الفرس :

ألم يغز التفرق جند كسرى وأجلوا عن مدائنهم فطاروا (٢٤)

وينوه القطامي أحياناً بأسماء المؤرخين والخباريين ليؤيد خطابيه الشعري ، فهو يعتمد ، في اشارته إلى عاد (٢٥) وجُرهم (٢٦) مثلاً ، على ما رواه زيد ودغفل (٢٧) :

أحاديث عن عاد وجرهم جمّة يثورها العضان: زيد ودغفل (٢٨)

وقد أضحي هذان الراويان رمز المعرفة عند شعراء لاحقين نحو أبي تمام الذي يقول في تعبير تصويري مادحاً مالك بن طوق :

أصبحت حاتمها جوداً وأحنفها حلماً وكيّسها علماً ودغفلها (٢٩)

ومن يدري فلعل صنيع القطامي أحد أسباب شهرة زيد ودغفل ، أو بالأحرى تخليدهما وأخذهما هذا البعد الرمزي ، فأصبحت مضرب الأمثال في أدب القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي (٣٠) .

#### □ الموت والانسان في شعر القطامي :

وليست حكم القطامي نابعة من ثقافته الدينية والتاريخية فقط ، بل كانت أيضاً تقطيراً وتكثيفاً لتجربته الشخصية التي أهلته وساعدته على عرض نظراته في الوجود وعلى كشف رؤيته للمجتمع وتعميق رؤاه . وقد تتسم أحياناً بعض أقواله بالبداهة ان لم أقل السذاجة . وكأنه كان يرى أن التذكير بالبديهيّات ضروري للذي ينساها أو يتناساها . وقد احتل الموت في شعره مكاناً مهماً بشكل خاص . ولا بد من التذكير بأن الشعر الغنائي حافل بهذا الضرب من المواضيع (٣١) ، وقد كان لشعرائنا العرب حكم وأمثال كثيرة في هذا الميدان نحو زهير ( رأيت المنيا ٠٠ ) وطرفة ( اممرك ان الموت ٠٠ ) في الجاهلية ، والأخطل (٣٢) وشعراء الخوارج (٣٣) في الفترة الأموية . ومما يلفت الانتباه عند القطامي ، هو إلحاحه على هذا الضرب : فيستحوذ موضوع الموت ويزداد كلامه عليه مع الزمن ومع تقدمه في السن وشيخوخته وقد عرض مفهومه الفلسفي عرضاً مفصلاً - على نحو يذكرنا بمونتين ( ١٥٣٢ - ١٥٩٢ ) (٣٤) ، في قصيدته الثقافية ، فيبين أن الموت لا مفر منه . ومهما حاول المرء أن يتناساه بمباهج الحياة وملذاتها المختلفة ، فلا طائل من وراء ذلك ولا جدوى لأن كل ما في الحياة عابروائل :

وأرى المعيشة انما هي ساعة فرح" ، وساعة كربة وتحق (٣٥)

وان تقلب الحياة وهشاشة العلائق الانسانية على الأرض والدور المخرب للدهر يجعله يلاحظ أن كل شيء آيل الى تغيير :

**ليس الجديد به تبقى بشاشته الا قليلا ، ولا ذو خلة يصل(٣٦)**

وعندما يريد أن يظهر قوة الموت المنتصرة دائماً فانه يشحن حكمه بالصور المستوحاة من قاموس القنص والصيد :

**وأرى المنية للرجال حبالاً شركاً يصاد به لمن لم يعلق(٣٧)**

ويلح القطامي على الاشارة الى الرعب الذي تثيره الشعائر المأتمية ، وكأن القطامي أحس أن مشهد المجنزة « أشد هولاً من الموت ذاته » ، وهذا شأن كثير من الكتاب والشعراء اللاحقين كما يذكر ادغار موران في كتابه **الانسان والموت(٣٨)** . والقطامي يسوق ذلك بعفوية تفسيرية مفسرة :

**وما للفتى مالاً اذا مر نعشه على عمد فوق المناكب يحمل(٣٩)**

ويستنبط الشاعر ، من هذه الأوصاف والتلميحات دروساً أخلاقية ، فما نراه عادة دون أن نبالي به يفجره القطامي ببعد نظره أو بالأحرى بحكمته يستنتج منه فلسفة خاصة ، ومثل ذلك سيصنع وورد سوورث Wordsworth الشاعر الانكليزي (ت ١٨٥٠) في محاولة كشف أشياء أخرى مما نراه يومياً وإخراج رؤيته الفلسفية في الانسان والحياة والمجتمع ، في القصائد التي ينشدها وتأخذ أحياناً بعداً تعليمياً . والقطامي عندما يصف قافلة الموت فانه ينبهنا الى هذه المسألة : لماذا يكون المرء شحيحاً ويكدس الثروات اذا كان الموت يجبره على التخلي عن كل شيء ؟ ومن المفارقات أن تكون الحياة الحقيقية في الموت نفسه :

**والعيش لا عيش الا ما تقر به عين ، ولا حال الا سوف تنتقل(٤٠)**

ولربما كان تصدي القطامي لموضوع الموت ، من خلال حكمته الروحية ، فتكلم عليه لا على أنه حيّزٌ موحش خرب يمثل العدمية بل على أنه مكان للاستقرار والسكون ، ومع ذلك فلم يشر الشاعر الى ما سيجري مع الانسان بعد الموت ، فهو لم يلمح البتة الى الجنة والنار وكان ذلك ليس شأنه ، ولعل مثل هذه المفاهيم ستأخذ مداها عند شعراء الفرق الدينية وفي العصر العباسي .

ولئن اتسمت رؤية القطامي للموت بمسحة استحواذية وجبرية ، فان رؤيته للانسان انطبعت - في أحيان كثيرة - بالتشاؤم الظاهر(٤١) ، وقد يفسر ميله الى النظر في الأشياء نظرة « سوداوية » الى كثرة تجاربه مع الناس والى المعيشة الصعبة التي كان البدو في تلك الفترة يعانونها أو ببساطة الى كونه كان أسيراً بعد معركة مرج راهط ( سنة ٦٤ هـ / ٦٨٤ م ) وبالضبط في أثناء حرب ماكسين بين تغلب وقيس قرب نهر الخابور ( سنة ٦٦ هـ / ٦٨٥ م أو ٦٩ هـ / ٦٨٩ م ) (٤٢) .

وبما أن القطامي عرف السراء والضراء وعرك الدهر وحلب أشطره فقد تسنى له أن يصف عقلية الرجال ونفسياتهم ، وأن يعرض تصوره للحياة اليومية ، يستشف من هذا الوصف قضايا على جانب كبير من الخطورة ، فهو يتجاوز الوصف السطحي لينفذ الى أعماق اللوحة الانسانية :

### والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي، ولأم المخطيء الهبل (٤٣)

ألا يصفق المرء في آخر القرن العشرين وفي شتى أنحاء المعمورة للذين استطاعوا - بطريقة ما - الوصول والنجاح ويتقرب منهم ويتزلف اليهم ؟ ألا نقول في المخطيء - بكل بساطة وسذاجة - انه « يستأهل » ؟! وبما أن ذلك كذلك ، فان القطامي يأخذ بيدنا يعلمنا فن الحياة مع الآخرين ويدرسنا السلوك الأقوم . ويطرح الشاعر أفكاره ورؤاه ، مغنياً البعد الفلسفي بالصور البيانية المستوحاة من وسطه الاجتماعي والثقافي البدوي .

- |                               |                              |
|-------------------------------|------------------------------|
| ١ - أمور لو تدبرها حليم       | اذن لنهى وهيب ما استطاعا     |
| ٢ - ولكن الأديم اذا تفرئ      | بلى وتعيناً غلب الصناعا      |
| ٣ - ومعضية الشفيق عليك مما    | يزيدك مرة منه استماعا        |
| ٤ - وخير الأمر ما استقبلت منه | وليس بأن تتبعه اتباعا        |
| ٥ - كذاك وما رأيت الناس الا   | الى ما جر غاويهم سراعا       |
| ٦ - تراهم يغمزون من استركوا   | ويجتنبون من صدق المصاعا (٤٤) |

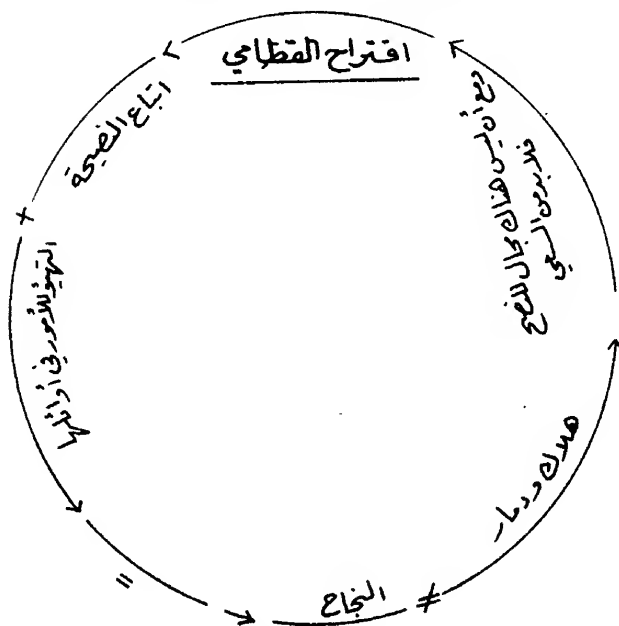
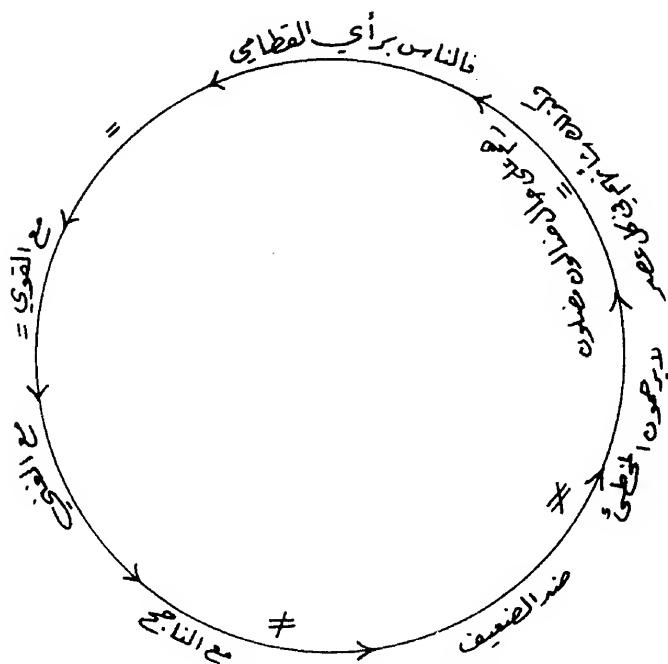
ويمكن تلخيص الأبيات السابقة حتى نفهمها بالمعادلات الحديثة بالشكلين على الصفحة التالية :

والبعض ما ينشده القطامي من أمثال وحكم صدى عند شعراء وكتاب آخرين، كالبيت الرابع من العينية ، الذي ذكرناه آنفاً ، والذي يلمح الى القول المعروف : من أضاع أوائل أمره أضاع أواخره كقول الشاعر :

### إذا ضيعت أول كل أمر أبت أعجازه الا التواء (٤٥)

كما أن الشاعر الفرنسي لافونتين ( ١٦٢١ - ١٦٩٥ ) ، الذي كان للأدب العربي عامة ولكتاب كليله ودمنة خاصة أثره الواضح في نتاجه ، يلمح الى فحوى البيت السادس في ( حكاياته وأمثاله ) ولا سيما الحكاية السادسة ( الذئب والحمل ) بالحاء (٤٦) .

والن ثقف طويلا عند أمثال هذه الموازنات والمقارنات مع أنها تتسم بالطرافة ، وهي باب خصب للدراسة والطريق اليها لاحب لمن أراد المزيد والتعمق .



ومع أن للشاعر مواقف حرجة في الحياة تدعوه الى التشاؤم من النظم الاجتماعية القائمة ، فان ذلك لا يدفعه الى الاستسلام والقنوط . فعلى النقيض ، نراه ينصح الناس ، بلا كلل ويرشدهم الى أفضل السبل والى الموقف الأحسن في التصرف ، منوهاً بالشرف الانساني والألفة :

**ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه يعنف وينكره الذي كان يعرف (٤٧)**

وهو الى ذلك واستناداً الى العقلية العقلانية التي يتمتع بها يرسم ملامح السلوك الأمثل ، فلا تكفي العجلة وحدها للوصول الى الغرض المقصود بل لا بد من خطة واعية ودقيقة ، ومن تأمل عميق في الأشياء على نحو يذكرنا أيضاً بلافونتين والحكاية العاشرة ( الأرنب والسلحفاة ) ، كما أن أصدق الأصدقاء هو ذاك الذي يمد لك يد العون عند الضرورة ناسياً كل العزازات :

**قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل (٤٨)**

**أخوك الذي لا تملك الحس نفسه وترفض عند المحفظات الكتائف (٤٩)**

وبعد ، اذا كانت هناك أوجه كثيرة من الحياة الانسانية والطبيعية تبعث على التشاؤم فكيف نتصرف ؟ يحث القطامي على الدأب والصلابة وأن تكون وجهة الثبات والحركة نحو الكائن ( أي المثل العليا والقيم الأخلاقية ) لا نحو الملكية ( أي الغنى المادي والجشع ) :

**أرى البأس أدنى للرشاد وانما دنا العي للانسان من حيث يطمع**

**فدع أكثر الأطماع عنك فانها تضر، وان البأس لا زال ينفع (٥٠)**

ولا يكتفي القطامي باعطاء دروس في الحياة العامة . فهو يفيد من فلسفته في عدد من القضايا الخاصة واليومية ، فأضحت عنده طريقة أو أداة ناجعة في الافحام : فمثلاً لكي يقنع احدي القبائل (وهي قضاة) بالانضمام الى قبيلته ، فانه يذكرهما بنسبهما المشترك ، فينشد بأسلوب حكمي :

**ومن ينزع أرومته لأخرى فذاك لثابت الأصل اعتقار (٥١)**

وخلاصة القول ان أمثال القطامي وحكمته تعبر عن أخلاقه وتستجيب لحاجات المجتمع العربي ، ولا سيما المجتمع البدوي في تلك الفترة . فما طرحه ليس غريباً عليهم غير مفهوم ، ومن هنا فأدبه الحكمي لم يك نظريات فلسفية مفصلة مطولة ، انها نظرات فلسفية أصيلة مؤلفة من جمل موجزة تعكس عصاراة الفكر الانساني ومصوغة في أبيات سائرة . وقد كان لاصور البيانية التي واكبت أمثاله ولكلماتها العفوية ونغمها الايقاعي وتعايرها المقتضبة ولعمقها ونفاذها أكبر الأثر في شهرتها وسهولة حفظها و « عندما تجتمع الموهبتان ، الموهبة الحكمية والقريحة الشعرية في الرجل ذاته ، فاننا نكون أمام شاعر كبير » (٥٢) .

ومع أن شعراء آخرين سابقين له قد طرقتوا بعض حكمه ، فاننا نعتقد أن أسلوب القطامي قد طبعها بسمه جديدة ، فأعطاهم نفساً خاصاً وروحاً جديدة متجددة ، ولذا فلا نستغرب اذا



كان لحكمه مكان رفيع في الشعر العربي فتبعه كثير من الشعراء ، وأصبح كثير مما يعرض مضرب الأمثال ، فذهبت بعض القصص التي رواها القطامي مثلاً نحو قوله في آخر قصة عجوز بني محارب حدد فيها الزمان والمكان ووفر لها المقدمة والعقدة ليخلص الى الحل الذي ارتآه ( ولا نعرض لسرده القصصي هنا لكون ذلك ليس موضوع بحثنا ) :

ألا انما نيران قيس اذا شتوا      لطارق ليل مثل نار الجاحب(٥٣)

فاستشهد بصنيعه عبد الصمد بن المعدل ( ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م ) الذي ينشد في هجاء أخيه أحمد :

ليت لي منك يا أخي      جارة من محارب  
نارها كل شتوة      مثل نار الجاحب(٥٤)

كما سار كثير من الشعراء على نهجه فقلدوه وحذوا حذوه(٥٥) وأثارت حكمه اهتمام كتاب العصور التالية وكأنها أضحت شغلهم الشاغل كابن رشيقي والعباسي وغيرهما (٥٦) .

وبعد مضي ثلاثة عشر قرناً من تطور الفكر الانساني واللغة فان كثيراً مما تمثل به القطامي ما زال ينبض بالحيوية والديمومة والواقعية ، فقد كانت فلسفته مع تشربها بالطابع البدوي رسالة انسانية ودرسا في الحياة ، فلم يحدها زمان ولا مكان ، وبذا فانتماء القطامي - هذا الشاعر الذي نجهله أو نتجاهله - ليس لشعب وحده بل يتجاوز ذلك

فهو ليس فقط - وكفاه ذاك فخراً - شاعر الحكمة والسلم في العصر الأموي بل ان أمثلة كثيرة من شعره يمكن أن تقارن بشعراء آخرين نحو لافونتين(٥٥) ومونتيني وغيرهما .

أخيراً ، ألا يحق لنا القول بأن فن خلق الأبيات السائرة جعل من القطامي شاعراً انسانياً وأن فلسفته الأخلاقية المتمزجة بتبعته الشعرية التي وفرت لنا اللذة - لتؤلف كلا واحداً لا يتجزأ قابلة لأن تثير اهتمام الشرق والغرب معاً ؟

د. نزيه كسيبي  
جامعة استراسبورغ

الهوامش : □

١ - أمل ان تتاح لنا الفرصة للكلام على القطامي ( بفهم القاف ويجوز فتحها ) نفسه والبعد الفني والجمالي في شعره . وهو - بإيجاز - عمير بن شبيب شاعر تغلبي اي من قبلة الاخطل ، ولكنه ليس ابن اخته كما تذكر بعض كتب تاريخ الادب ، وقد عاش في عهد الأمويين ( توفي نحو ١٠١ هـ / ٧١٩ م ) ، وكان يقطن في الجزيرة السودية قرب نهر الخابور . ولزيد من الاطلاع انظر اطروحتنا لنيل شهادة الدكتوراة :

NJSSAIBI, Nazin, Un poète arabe de l'époque omayyade : AL-QUTAMI et Son oeuvre,, Thèse de doctorat du 3ème Lycle, Strasbourg, 1983, 300 P. t. 2 ill.

( نسخة منها في المكتبة الوطنية ومعهد الدراسات الشرقية في باريس وكذا الأمر في ستراسبورغ )

2 — T. S. Eliot, On Poetry and Poet, New York 1957, P. 6.

٣ - راجع مقال الدكتور مازن الوعر ، الأبعاد الشعرية واللغوية والفلسفية لرسالة الغفران ، مجلة التراث ، العدد الرابع ، ١٩٨١ - ص ١٢٢ وما بعدها .

4 — Brockelmann, art. Matal, in EI<sup>2</sup>, IV 643, Col. 1.

5 — Ahmed Deif, Essai sur l'alyrisme et la critique littéraire chez les arabes, Paris, 1917. PP. 10-11. 21-22.

وراجع مقال الدكتور شكري فيصل ، شعر الحكم والأمثال في الديوان العربي ، ايفساح ودفاع ، مجلة التراث ، العدد الرابع ، ١٩٨١ ، ص ١٧٩ .

٦ - انظر شهاب الدين احمد بن عبد ربه ، العقد الفريد، ثلاثة اجزاء ، ط بولاق ، ١٢٩٣ هـ / ١٨٧٦ م ، ج ١ ، ص ٣٢٢ .

٧ - ابن رشيقي العمدة ، ط ٤ ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٢ ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .

8 — Ct. G. JEAN, La Poésie, Paris, Seai, 1966, P. 37.

٩ - شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، تج فريتاغ ، بن ، ١٨٢٨ ، ج ١ ، ص ١٧٠ ، ط بولاق ، ١٨٧١ ، ج ١ ص ١٨١ .  
١٠ - هناك طبعان للديوان ، ط ١ ، تج . يعقوب برت ، ليدن ، بريل ، ١٤٠٢ ط ٢ ، تج د . احمد مطلوب و د . ابراهيم السامرائي ، بيروت ، دار الثقافة ١٩٦٠ .

وعندما نستشهد بشعر القطامي فاننا سنورد المصنفين الطبعين بادئين كل مرة بطبعة ليسدن منبهين الى رقم القصيدة ( ق ) والبيت ( ب ) والصفحة ( ص ) . راجع راينا 'لوجز في الطبعين في مقالنا : على هامش الندوة الاستشرافية المنعقدة في ستراسبورغ ، المعرفة ، عدد ٢٢٧ ، كانون لثاني ١٩٨١ ، ص ٢١٥ . وقد قمنا ببحث مفصل فيهما بالفرنسية سينشر في مجلة ARABICA .

١١ - وقد اثبتنا ذلك في دراستنا النصية التاريخية التطورية (Jiachronique) والوصفية الآنية (Synchronique) لشعر القطامي ، وقد خالفنا بذلك صاحب مقال القطامي في الموسوعة الاسلامية الطبعة الثانية (EI<sup>2</sup>, Vol. 5, P. 545) البروفسور شارل بلا والذي تفضل بالمشاركة في مناقشة اطروحتنا ( راجع ص ٤١ وما بعدها من الاطروحة ، وانظر في الاغاني ج ٢٣ ، ص ١٧٥ ، معاهد التنصيص للعباسي ، ج ١ ، ص ٦٤ ، الخزائن ، طبع بولاق ، ج ١ ص ٣٩٣ .

١٢ - راجع سفر التكوين ، الاصحاحين السادس والعاشر .

١٣ - القرآن سورة هود ، الآيات ٢٥ - ٤٩ ، سورة المؤمنون ، الآيات ٢٣ - ٢٩ ، سورة نوح .

١٤ - ديوان القطامي ، ق ٣٩ ، ب ٤٣ ، ص ٨٤ ط ليدن/ق ٢٢ ، ص ٤١٣ ط بيروت .

١٥ - ديوان القطامي ، ق ٣٩ ، ب ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ص ٨٤/ق ٢٢ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ . وراجع سفر الخروج ، الاصحاح الرابع عشر ١ - ٣٠ ، القرآن ، سورة الاعراف ، الآية ١٠٣ وما بعدها . ولزيد من التفصيل راجع ديوان القطامي ( ق ٢٣ ، الآيات ٢١ : ٢٦ ، ص ٧٠/ت ١٢ ، ص ١٠٠ ) .

١٦ - ديوان ، ب ٥١ ، ص ٨٥/ص ١٤٤ .

١٧ - اي سودانهم ، ديوان ، ط بيروت ، ص ١٢٧ .

١٨ - ديوان ، ق ١٩ ، ب ١٢ ، ص ٦٠ / ق ١٩ ، ص ١٢٥ .

١٩ - البشر : مرتفعات تمتد من عرض يضم العين قرب تدمر الى الفرات ، والرحوب اسم بئر في منطقة جبل البشر ، انظر ياقوت ج ١ ، ص ٤٣٦ ، والبكري ، ص ٤٠٢ .

٢٠ - زفر بن الحارث الكلابي ( توفي نحو ٧٥ هـ ، ٦٩٥ م ) زعيم قيس ، شهد صفين مع معاوية ومرج راهط ، وكانت وفاته في خلافة عبد الملك بن مروان في قرقيسيا عند مصب نهر الخابور في الفرات ( راجع الاعلام ، ج ٣ ص ٧٨ ) .

٢١- مؤتمر العواية : من يأمر بالغى والضلال أي كان شرائطه .

٢٢- ابننا نزار : ربيعة ومضر .

٢٣- الثلثة : مسيل الماء من مكان مشرف الى الوادي ، انظر الديوان ق ١٣ ، الأبيات ١ - ٢ - ٤ - ٦ ، ص ٢٧/٢ ، ص ٣١ - ٣٣ .

٢٤ - ديوان ، ق ٢٩ ، ب ٣٩ ، ص ٨٤/ق ، ص ١٤٣ .

٢٥ - عاد : شعب من العرب البائدة .

٢٦ - جرحم : قبيلة عربية قديمة ، قيل انها جاءت من اليمن ، ثم هاجرت الى مكة .

٢٧ - زيد بن الكيس النمري ( بفتح الميم ) ودغفل بن حنظلة بن زيد الذهلي الشيباني ( ت ٦٥ هـ / ٦٨٥ م )  
وقد كانا مشهورين باخبار العرب وانسابها وانظر ديوان ص ٣١/ص ٦٧ ، الاعلام ، ج ٣ ، ص ١٨-١٩ ) .

٢٨ - يثورها : يحكيها وينشرها . العضان واحد العض وهو الداهي ( انظر الديوان ق ١١ ، ب ٤ . ص ٣١ /  
ق ٦ ، ص ٦٧ ) .

٢٩ - شرح ديوان ابي تمام للتبريزي ، تج محمد عبده عزام ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤ - ١٩٦٥ ، ج ٣ ، ص ١١٥ . ولا بد من التنويه بأن اسم دغفل ( بفتح الدال ) قد دون بضمها في مخطوطة المكتبة الوطنية باستراسبورغ ( ديوان ابي تمام ، خلف الورقة ٧١ ، رقم المخطوط ٤١٨٣ ) .

٣٠ - اشار الى مثل ذلك شاعر معاصر للقنطاري وهوسكين بن عامر الدارمي ( بكسر الراء ) توفي في سنة ٨٩ هـ /  
٧٠٨ م ) :

فحكمت دغفلا وارحل اليه ولا تدع المطي من الكلال

وكذا فعل الكميت ، راجع ( ياقوت ، ارشاد الأدب المعروف بمعجم الأدباء وطبقات الادباء ، تحقيق د.  
س . مرجليوث ، مطبعة هندية بالموسكي بمصر ، ١٩١٣ ج ٦ ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

31 — M. Abdesslem, Le Thème de la mort dans la poésie arabe, Tunis, P.U.T, 1977, P. 200.

٣٢ - ديوان الاخطل ، ص ٥٥ ، السطران ٤ - ٥ .

٣٣ - راجع ما قاله الشاعر الغارجي محمد بن بشير في الحماسة ، ط . بن ، ج ١ ، ص ٣٧٧ .

34 — Cf. E. Lablénie, Montaigne auteur des Maximes, Paris, SEES, P. 13 sq.

٣٥ - ديوان ، ق ١٢ ، ب ٣٦ ، ص ٣٦/ق ١٤، ص ١١١ .

٣٦ - به : يعني الدهر . البشاشة : اللذة والسرور . الخلة : الصداقة أراد ولاذو خلة يدوم وصاله ( الديوان ،  
ق ١ ، ب ٦ ، من ٢/ق ١ ، ص ٢٤ ) .

٣٧ - الحباله ج حبال : المعيدة . الشرك : حباله الصيد ( ديوان ، ق ١٢ ، ب ٣٧ ، ص ٣٦/ق ١٤ ، ص ١١١ ) .

38 — Edgar Morin, l'Homme et la Mort, Paris, Seuil, 1970, P. 35.

٣٩ - العماد ج عنمد : خشبة تقوم عليها الخيمة وكل مارع شيئا وحمله ( ديوان ق ١١ ، ب ٣ - ص ٣١/ق ٥ ،  
ص ٦٧ ) .

٤٠ - ديوان ، ق ١ ، ب ٧ ، ص ٢/ق ١ ، ص ٢٤ . ويقول شارح الديوان ( ط . ليدن . ص ٢ ) : المعنى لا عيش الا  
عيش الآخرة . قر . يقر ( بفتح القاف وكسرهما ) اليوم . برد . وقرت عينه : بردت سرورا وجف دمعها ، رات  
ما كانت متشوقة اليه ، فهو قريب العين .

٤١ - يبدو الشاعر أحيانا متفائلا من ذلك قوله ( ديوان ، ب ٢٨ ، ص ٤٠ / ص ٣٥ ) :

تعلم ان بعد الغي رشدا وان لهذه الغمم انقشاعا

٤٢ - انظر اطروحتنا ص ( ٧٠ ) وما بعدها ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٢٩ ، عمر فروخ ، تاريخ العرب ، ج ١ ، ص ٥٩٩ .

٤٣ - ديوان ، ب ٨ ، ص ٢ / ص ٢٥ ، الخزانة ، طبع بولاق ، ج ١ ، ص ١٦٩ . الهبل : الشكل اي فقد الولد .

٤٤ - ديوان ، ق ١٣ ، الأبيات ٢١ - ٢٦ ، ص ٣٩ - ٤٠ / ق ٢ ، ص ٣٤ - ٣٥ ، خزانة ، ط بولاق ، ج ١ ، ص ٣٩٢ ، ط ط أحمد تيمور والميني ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

تفسير الكلمات : هيب الشيء الى فلان : جعله مهيبا عنده . تفرى : تشقق . بلى : بلى الثوب : رث . التمين : ان يكون في البلد مواضع ( مثل العيون ) تهيأت للمفرق . الصناع : الحاذقة بعمل اليدين . وقوله : « وخير الأمور ما استقبلت » اي خير الأمور ما قد تدبرت اولها فانتهاز الفرصة فيها ما دامت ممكنة ، يغمزون : يضيئون . استركوا : استضعفوا والمصاع بكسر الميم : المجادلة بالسيوف .

٤٥ - نظم اللآل في الحكم والأمثال ، جمع عبدالله فكري ، شرح عبدالمعين الملوحى ، مجلة التراث ، عدد ٤ ، ١٩٨١ ، البيت ٥١ ، ص ٨١ .

46 — La Fontaine, Les Fables, anronologie et introduction par A. Adam, Paris, Garnier — Flammarion, 1906, P. 55, f. 13; Fable X, f. 59, f. 1.

٤٧ - اي يعمل الناس على عيبه ( الديوان ، ب ، ص ١٠ / ص ١٥٧ ) . \* — La Fontaine, op. cit, p. 165.

٤٨ - تانى واستانى في الأمر وبه : تنظر وتفرق ( الديوان ب ٩ ، ص ٢ / ص ٢٥ ، الخزانة ، ط بولاق ، ج ١ ص ١٦٦ ) .

٤٩ - احسن لك اي ارق لك . المحفظات : المغضبات . الكتائف ج كتيفة : الحقد والعداوة . اي اذا نزل بك أمر يحفظ اي يغضب لم يملك نفسه ان ينصرك ولم يلتفت الى الحقد والعداوة ( ديوان ، ق ٥ ، ب ٢٥ ، ص ٢٧ / ق ٤ ص ٥٥ ، الحماسة ، طبع بولاق ، ج ١ ، ص ١٨٢ ) .

٥٠ - ذيل ديوان القطامي ، طبعة بيروت ، رقم ٣٥ ، البيتان ١ - ٢ ، ص ١٧٨ نقلا عن شيخو ، في مجلة المشرق ، بيروت ، عدد ٢٣ / ١٩٢٥ ، ص ٣٦ . الباس : الشدة والشجاعة . العي : ذو العي الكال العاجز . وتروى الكلمتان على هذا النحو ( الناس بالنون - القي بالغين المعجمة ) في الحماسة البصرية تج مختار الدين أحمد ، حيدر آباد الدكن ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٦٤ ، ج ٢ ، ص ٢٨ . ولزيد من الاطلاع على أبيات أخرى بهذا المعنى راجع الديوان ، ق ١ ، ب ٣٣ ، ص ٦ / ق ١ ، ص ٢٩ .

٥١ - الأرومة : اصل الشجرة واستعملت للحسب ( بالسین المهملة ) ، ويقال هو طيب الأرومة : كريم الأصل . الاعتقار : اعتقر ظهر الدابة من الرجل اي دبر وجرح أو انتقطعت قوائمها ( ديوان ، ق ٢٩ ، ب ٨١ ، ص ٨٧

/ ق ٢٢ ، ب ٧٦ ، ص ١٤٧ ) .

52 — T. S. Eliot, op. cit, p. 240.

٥٣ - ويروى اشتوا - الحياحب : هناك شروح عديدة للكلمة منها ان هذه النار تفرج من تحت حوافر الدواب او انها اسم اليراع الذي يقضي ضوءا خافتا او اسم رجل بخيل كان يشعل ناره على نحو لا يراها الآخرون ( ديوان ، ق ١٥ ، ب ٤٠ ، ص ٥٤ / ق ٣ ، ص ٥٠ ) .

٥٤ - الحصري ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ ، العباسي ، ص ٦٥ ، الشريشي ، ج ٢ ، ص ٢١٤ .

٥٥- قارن حكمه في الديوان ( ب ٢٥ ص ٢٧/ص ٥٥ ) مع عويف القوافي ( توفي حوالي ١٠٠ هـ / ٧١٨ ) الفزاري،  
انظر الحماسة ج ١ ، ص ٨٢ ، الأغاني ، ج ٢٣ ، ص ١٨٠ - ١٨١ . ومع المتنبي انظر بلاشير ،

Un Poète arabe du 4ème siècle de l'Hegire : Abû t-Tayyib al Mutanabbi, Paris, 1935, P. 120.

وراجع ديوان المتنبي ، شرح الواحدي ، تج . F. Pieterici ، برلين ، ١٨٦١ ، ق ٤٨ ، ب ١ - ٢ ، ص

١١٦ ، ديوان القطامي ( ب ٣٦ ، ص ٣٦/ص ١١١ ) ،  
انظر اطروحتنا ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، ٢٢٧ .

٥٦- العمدة ، ج ١ ، ص ٢٨٤ ، معاهد التنصيص ، ج ١ ، ص ٦٥ ، الخزانة ، ج ١ ، ص ١٧٦ ، ديوان المعاني ، ج ١ ،  
ص ١٢٤ .

55 — La Fontaine, op. cit., VI, P. 55, f. 5; X, P. 59, f. 1; J. Pineaux, Proverbes et Jictons français,  
7ème éd. Vendôme, P.U.F., 1979 (Coll. Que suis-je ? 766), P. 91.



## □ ثبت المراجع :

- ١ - ابن الأثير ، عز الدين ، كتاب التاريخ الكامل ، ١٢ مجلدا ، بولاق ، ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٤ م .
- ٢ - ابن رشيق الحسن القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر ، تج محيي الدين عبد الحميد ، ط ٤ ، جزءان ، بيروت ،  
دار الجيل ، ١٩٧٢ .
- ٣ - ابن عبد ربه ، احمد ، العقد الفريد ، ثلاثة أجزاء ، بولاق ، ١٢٩٣ هـ / ١٨٧٦ م .
- ٤ - الاخطل ، غياث بن غوث ، ديوان ، تج انطون صالحاني ، بيروت المطبعة الكاثوليكية ، ١٨٩٠ - ١٩٠٩ .
- ٥ - الاصفهاني ، علي بن الحسين ، الأغاني ، ط ثانية ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٥٧ - ١٩٦٤ .
- ٦ - البغدادي . عبد القادر بن عمر ، خزنة الادب ، أربعة أجزاء ، بولاق ، ١٨٨٢ ، طبعة أخرى تحقيق أحمد تيمور  
وعبد العزيز الميمني الراجكوتي ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٩٣٤ .
- ٧ - البكري ، عبدالله أبو عبيد ، معجم ما استعجم ، تج . فرديناند ويستنفلد F. Wüstenfeld جزءان ، جوتنجن  
باريس ، ١٨٧٧ .
- ٨ - بلاشير ، ريجيس ، تاريخ الادب العربي ، ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني ، ثلاثة أجزاء ، ١٩٧٣ - ١٩٧٤ .
- ٩ - التبريزي ، يحيى بن علي ، شرح ديوان ابي تمام ، تج محمد عبده عزام ، أربعة أجزاء ، القاهرة ، دار المعارف ،  
١٩٦٤ - ١٩٦٥ ، مخطوطة ديوان ابي تمام رقم ٤٢٨٢ في المكتبة الوطنية والجامعية في استراسبورغ  
(B.N.U.S, Arabe 102) ١٤٩ ورقة .
- ١٠ - التبريزي ، شرح كتاب اشعار الحماسة لابي تمام ، ط فريتاغ G. G. Freytag ، بون ، ١٨٢٨ ، ط بولاق ،  
أربعة أجزاء ، ١٨٧٩ .
- ١١ - المصري ، ابراهيم بن علي القيرواني ، زهر الادب ، بهامش العقد الفريد ، ٣ أجزاء ، ١٨٧٦ .
- ١٢ - الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، طبعة ثانية ، ١٠ أجزاء ، القاهرة ، مطبعة كوستانسوماس ، ١٩٥٥ .

- ١٣- الشريشي ، أحمد ، شرح المقامات الحبرية ، جزءان ، بولاق ، ١٨٦٧ .
- ١٤- شيخو ، لويس ، شعراء النصرانية بعد الاسلام : القطامي ، المشرق ، بيروت ، عدد ١ ، مجلد ٢٣ ، ١٩٢٥ ، ص ٢٤ - ٣٦ .
- ١٥- العباسي عبدالرحمن بن عبد الرحيم ، معاهدالتنصيص في شرح شواهد التلخيص ، جزءان ، بولاق ، ١٣١٦ هـ / ١٨٩٩ م .
- ١٦- العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبدالله ، ديوان المعاني ، جزءان ، القاهرة ، مكتبة القدسي ، ١٦٣٣ .
- ١٧- فروخ ، عمر ، تاريخ الادب العربي ، الادب القديم من مطلع الجاهلية الى سقوط الدولة الاموية ، ط ثانية ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٩ .
- ١٨- القطامي ، عمر بن شبيب ، ديوان ، تح . يعقوب برت ، لندن ، بريل ، ١٩٠٢ XXII + 53 + ٩٢ ص .
- ١٩- القطامي ، عمر بن شبيب ، ديوان ، تح . د . أحمد مطلوب و د . ابراهيم السامرائي ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٠ ، ١٩٦٠ ص .
- ٢٠- كسيبي . نزيه ، على هامش الندوة الاستشراقية المنعقدة في ستراسبورغ ، المعرفة ، العدد ٢٢٧ ، كانون الثاني ١٩٨١ ، ص ٢١٠ - ٢١٨ .
- ٢١- الملوحي ، عبدالمعين ، نظم الال في الحكم والامثال ، جمع عبدالله فكري ، مجلة التراث ، العدد الرابع آذار ١٩٨١ ، ص ١٨١ - ٢٣٦ .
- ٢٢- ياقوت ، شهاب الدين بن عبدالله ، معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٥٧ - ١٩٦٨ .
- ABDESSELEM, M., Le thème de la mort dans la poésie arabe des origines à la fin du III/IX siècle, Tunis, P.U.T., 1977, 402 p.
- BROCKÉLMANN, Carl, Art, Matal, In Encyclopédie de l'Islam, 1ère éd., IV, 461-464.
- DEIF, Ahmed, Essai sur le lyrisme et la critique littéraire chez les arabes, Paris, Jouve, 1917, IV + 191 p.
- ELIOT, T.S., On Poetry and Poets, New York, American Book-Statford Press, 1957.
- JEAN, Georges, La Poésie, Paris Seuil, 1966, 206 p.
- KUSSAIBI, Nazih, Un poète arabe de l'époque umayyade, al-Qutâmi, et son oeuvre, Thèse du doctorat du 3ème cycle, dactylographiée, 300 p. + 2 ill.
- LABLENIE, E., Montaigne auteur des maximes, Paris, Société d'éd. et d'enseignement supérieur, 1968, 130p.